مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 09 عدد: 01 السنة 2023 E-ISSN:2588-2325

ثنائية الموروث والمعتقدات لدى المجتمع الجزائري في انثروبولوجيا الطب الشعبي: دراسة ميدانية بمنطقة البرواقية ولاية المدية

Dual heritage and beliefs of Algerian society on the Anthropology of folk medicine between A field study in the region of El Berrouaghia, the state of Medea

أسامة باحمد *، جامعة البليدة 02، bahmedoussama79@gmail.com
موسى إسماعيل شماخي ، جامعة خميس مليانة، ismailchemakhi88@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/01/20 تاريخ القبول: 2023/04/30 تاريخ الإرسال: 2023/06/30

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن العوامل الأساسية التي تدفع بأفراد المجتمع الجزائري إلى البحث عن طرق وعلاجات الطب الشعبي القديم، وهو معروف منذ الالاف السنين بحيث ساهم ممارسوه بقسط وافر من أجل تحسين الصحة البشرية، ولاسيما لدى المجتمعات التي تزخر بالموروث الثقافي الشعبوي التي تتشكل فيها الجذور القديمة المتوارثة جيل بعد جيل اخر، من اجل الحفاظ على الصحة ويمكن القول أن تطور الطب الشعبي ارتبط بالظروف الثقافية والتاريخية المختلفة لدى شعوب العالم والتي كانت تهدف الى الحفاظ على ثلاثية التوازن بين العقل والجسد والبيئة، وهذا البحث هو عبارة عن دراسة وصفية تحليلية تم من خلالها تحديد الإبعاد والعوامل، عن طريق قراءة مسحية لمجموعة من المقابلات والملاحظات الاجتماعية التي تناولت هذا الموضوع، وتوصلت هذه الدراسة إلى العوامل الدافعة بالأفراد نحو البحث عن الطب الشعبي، وهي متنوعة كالعوامل الاجتماعية والعوامل النفسية والعوامل المالية والعوامل الثقافية والعوامل الدينية وكل هذا يشكل لنا البناء السوسيوثقافي للطب الشعبي القديم.

الكلمات المفتاحية: الطب الشعبي، الأعشاب الطبية، التراث، المعتقدات، البرواقية.

Abstract:

* المؤلف المرسل

This research aims to reveal the basic factors that drive members of Algerian society to search for methods and treatments of ancient folk medicine, which has been known for thousands of years so that its practitioners have contributed a great deal in order to improve human health, especially in societies that abound with the popular cultural heritage in which roots are formed. Ancient inherited generation after generation, in order to maintain health, and it can be said that the development of folk medicine was associated with the different cultural and historical conditions of the peoples of the world, which were aimed at maintaining the triple balance between mind, body and environment, and this research is a descriptive and analytical study through which Determining the dimensions and factors, by reading a survey of a group of interviews and social observations that dealt with this topic, and this study reached the factors that drive individuals towards searching for traditional medicine, which are diverse such as social factors, psychological factors, financial factors, cultural factors, and religious factors, and all of this constitutes for us the socio-cultural structure of medicine The ancient popular.

Keywords: folk medicine, Medical Herbs, Cultural Heritage, beliefs, berroiaghia

مقدمة:

يعتبر العلاج بالطب الشـــعبي من الممارســـات المكتســـبة وراثيا من أحد الأقارب أو الأفراد الذين يشـــغلون حيزا ســـوســـيوثقافيا وطبيعيا مشـــتركا، ويختلف العلاج بالطب الشـــعبي القديم باختلاف كل منطقة من مناطق جزائرنا الشاسعة فهناك ما هو متخصص بالعلاج في الكي، وأخر في الرقية الشرعية وأخر في الحجامة، وهناك فئة أخرى تقوم بالممارسات العلاجية عن طريق الأعشاب والنباتات الطبية.

وبما أن منطقة دراستنا تحتوي على خصائص متنوعة استوحتها من الموقع الجغرافي لدائرة البرواقية، جعل منها منطقة تتميز بالفلاحة والرعي، وتضم العديد من المداشر والقرى النائية مثل دشرة ولاد سيدي سليمان والبحارشية وواد شعير، وما يميز هذه المنطقة الرائعة، أنها تحوز العديد من الأودية "وادي المالح "، "وادي البسباس" ، "وادي ياقور" ، "ووادي العدرات" الذي انجز عليه سد مائي على مستوى المنطقة الحدودية مع بلدية العمارية .

كما تتميز بخصائص فرضتها عوامل طبيعية منها ارتفاعها ب 1240 م عن مستوى سطح البحر قمة بن شكاو ووقوعها في سلسلة الأطلس التلي حيث تتعرض المنطقة للرياح والتيارات الهوائية الغربية، وبذلك فهي تتميز بمناخ متوسطي شبه قاري بارد ورطب في فصل الشتاء، ومعتدل في فصل الربيع وحار وجاف في فصل الصيف، وتستقبل كمية من الأمطار معتبرة تصل إلى 500 مم سنوياً، بمعدل تساقط مرتفع خاصة في ديسمبر و جانفي وفيفري، كما أن الثلج يكسو عدة مناطق بالولاية وخاصة المدية ومرتفعات بن شيكاو وتمزقيدة والكاف لخضر وتنقسم تضاريسها إلى أربعة مناطق رئيسية هي:

1/- المنطقة الجبلية : تتكون من سلسلة جبلية متواصلة وهي تحيط بالجهة الغربية والشمالية للولاية، وتمتد المنطقة الجبلية من الونشريس إلى غاية تابلاط وهي تتميز بقلة السكان واكتسائها بغطاء غابي كثيف كما تنتشر بها تربية المواشي .

2/- المنطقة التلية: تقع وسط الولاية وتتميز بطابعها الفلاحي، إذ تعرف زراعة الكروم المنتجة لمختلف أنواع العنب، إلى جانب زراعة أشجار الفواكه ويأتي في مقدمتها التفاح، كما تنتشر بها أيضا المراعي والأعشاب على ضفاف الأودية والمجاري المائية. وعليه فان ارتباط هذه المنطقة بمجال الطب الشعبي القديم نابع من عمق الثقافة الشعبية التي ساهمت في الوقاية وعلاج عدد كبير من الأمراض المنتشرة بين الناس، وأيضا من الخصوصية الجغرافية والطبيعية للمنطقة، من خلال تنوع الأعشاب والنباتات المتنوعة التي تستخدم في علاج العديد من الأمراض كالزكام والتسممات وغيرها، فالمسألة الصحية في مجتمع البروافية في كثير من ممارسات أنساقه مرتبطة يقدر ما، بشق المعتقدات، تناقلوها، لتشكل تراثا شعبيا متميزا، فعندما تسمع كلمة "تيزانة" يتبادر إلى ذهنك مباشرة "الزكام"، وإذا سمعت "الدڤوفت" يتبادر إلى ذهنك في المقابل "التسمم الغذائي.

1. الموروث الثقافي:

لقد حققت البشرية العديد من النجاحات في ميدان تطور الثقافة والفنون من خلال استخدام العديد من الأدوات والاشارات التي بقيت راسخة في الذاكرة الجماعية، "فالعادات والتقاليد والأفكار التي يشارك فيها أفراد المجتمع والتجارب التي يمر بها الإنسان تستقر في أعماقه ويستخدمها المجتمع جيلا بعد جيل ويحولها إلى قيم وتراث جماعي، وعليه فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع، وقد يتفق مع بعض الناس في كل شيء كما قد يكون الاتفاق في بعض الأشياء، فالثقافة هي البيئة المحيطة بالإنسان التي هي من صنعه" (باحمد، 2020)، وتمثل الحصيلة الإجمالية لحياة مجموعة من البشر، والتي تميزهم عن غيرهم، وأن الموروث الثقافي هو ذلك الكل المركب من سمات الحياة الاجتماعية، التي تعبر عن ثقافة شعب متجانس يحمل العديد من الممارسات التي يتداخل

فيها الموروثات الشعبية، من أساطير ورموز و حكايات وأشعار وتشكلات من خلال الخبرات والعادات والقيم والمعتقدات عبر العصور الماضية مشكلة ثقافة في مجتمع ما، أثرت بامتدادها عبر الزمن في حاضرنا، والتي كانت لزاماً على أفراد المجتمع بالاهتمام بالعناصر الثقافية والمحافظة عليها، لتؤكد ثقافتنا و هويتنا في الحاضر والمستقبل (سيد أحمد، 2013).

ونعرفه في بحثنا هذا بأنه كل المعتقدات والعادات والتقاليد التي ميزت ولازالت تميز منطقة البرواقية، كجزء من بايلك التيطري سابقا والمدية حاليا وتأثرها بالثقافات المتدأولة عليها كمنطقة تواصل بين الحضارات وطريق الربط بين الشمال والجنوب.

2. الطب الشعبي وعلاقته بالمعتقدات:

إن الطب الشعبي التقليدي هو عبارة عن مجموعة من المفاهيم والمهارات والمعارف راسخة في التصور الجمعي لدى أفراد المجتمع الجزائري، التي تحافظ على الصحة الجسدية ووقايتها من مختلف الامراض الجسدية والنفسية في المجتمع الجزائري، وهو ما لاحظناه في مقابلاتنا مع المرضى، فأغلبية المبحوثين غير مقتنعين بما يقدمه الطب الحديث في المؤسسات الاستشفائية بكل أنواعها، وهذا ما زاد إيمانهم بفعالية الطب الشعبي من خلال النتائج المحققة حسب ما أخبرنا به المرضى، هذا من احد العوامل التي أدت إلى تزايد إيمانهم واعتقادهم وتصورهم بفاعلية الطب الشعبي، ومن جهة أخرى صراع القائم بين الطب الحديث والمضاعفات الخطيرة التي نتجت عن الأدوية، وهذا ما أكده العديد من المبحوثين، فحسب ما صرح به احد الزوار المرضى: دواء العرب اذا مانفعش مايضرش، وفي مقولة اخرى سقسي المجرب وماتسقسيش الطبيب، الدواء غالي بزاف علينا واحنا محدودي الدخل وزووالة وفقراء، هذه كلها تصريحات توضح لنا أهمية وفعالية الطب الشعبي، إسعاف الحالات المرضية، ونذكر فيما يلي بعضا مما يتعلق بالطب الشعبي والمعتقد:

1/- الكهانة والعرافة: كان العرب يعتقدون أن الجن يسرق السمع من الناس، وينقله إلى الكهنة،" فالكاهن له تابع من الجن هو الذي يأتيه بالأخبار و منه يعرف خفايا الأمور و صناعة الكهانة كانت معروفة و شائعة عند العرب وهي "استخدام الجن في معرفة الأمور الغيبية "، وفي ذلك تحدث ابن خلدون واعتبر الكهانة استعدادا فطريا عند الإنسان للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية أو كثيرا ما يستعمل الكاهن السجع في أقوالهم، وهم يصدقون ويكذبون و يفزعون أحيانا إلى الظنون و التخمينات، وهناك من يرى أنها من العلوم الدخيلة على العرب ويرجعوا أنهم أخذوها إما عن الشعوب المجأورة لهم وخصوصا الكلدانيين الماهرين بعلم النجوم، وأما عن اليهود الذين انتشروا في الجزيرة العربية على أثر خراب أورشليم" (الفهد، 2007)

2/- السحر: فيعتبر من أقدم الممارسات و المعتقدات التي أقدم عليها الإنسان وكان منتشرا بين عرب الجاهلية، و له صلة وثيقة بالكهانة و العرافة حيث كانت المدأومة بين الناس تقع على يدي السحرة، وغالبا ما كانوا ينسبون الأمراض إلى وجود أرواح شريرة في جسم الإنسان، الذي يحأول الساحر إخراجها منه وكانوا يستعملون لأجل ذلك مواد عديدة منها البخور والملح والعظام والخرز، وكانت هناك طقوس يقومون بها، وتمتمات يخاطبون بها القوى الخفية "الجن" وكثيرا ما كانوا يدفنون ما يكتبونه من أوراق سحرية في المقابر لأنها أنسب الأمكنة للسحر

3/- الإصابة بالعين: " فقد كان العرب يعتقدون أن هناك قوى خفية تؤثر في الإنسان ومنها الإصابة بالعين، مما حمله على العمل لايجد وسيلة تتغلب على تلك القوى أو الحد من آثارها، لأجل ذلك استعملوا الرقية و التمائم و التعأويذ فاهتدوا إلى تعليق سن الثعلب أو سن الهرة في أعناقهم و أعناق أولادهم، وكانوا يرون أن عيون بعض الناس تصيب، فتجنبوا "العائن "و "المعيان "وابتعدوا عنه، كما رأوا أن الإصابة بالعين لا تقتصر على عيون الإنسان وحسب، فقد تصيب عيون الحيوان كذلك وخاصة الكلاب"

4/- الطيرة: " هي من المعتقدات المهمة عند العرب الجاهليين وهي تعني زجر الطيور ومراقبة حركاتها، فان تيمنت دل ذلك على الفال وان تيسرت دل ذلك على الشؤم ولكنها فيما بعد خصصت بالتشاؤم، فالتطير عقيدة سائدة عند معظم الشعوب القديمة وكثيرا ما اتخذ رمزا الفراشة: الغراب، الخفاش، الهامة، البومة، الوطواط، وسمي الغراب بغراب البين لأنه يحتم الفراق (الرزاق، 2006 ص80). ولا يجب أن نغفل كباحثين انثروبولوجيين أن التمسك بالعادات والتقاليد حول الوعي الطبي الشعبي، جعل الفرد المريض يراه الملجأ الوحيد للتخلص من المشاكل الصحية. وهذا ما اتفقنا فيه مع فراس السواح حين اعتبره "شكلا من أشكال التعبيرات الجمعية الناتجة عن الخبرة الدينية والانتماء الطرقي، وخروجها من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني الذي يكون بدوره مسئولاً عن تكوين المعتقد" (فراس، 1998)

3. أنواع الطب الشعبي في المجتمع الجزائري:

1.3. الطب الشعبي الطبيعي:

يعتمد الطب الشعبي في المجتمع الجزائري على العناصر الطبيعية النباتية والحيوانية ومستخلصاتها الاعشاب الطبيعية، التي تحتوي على مادة فعالة واحدة أو اكثر، والتي يمكن أن نعالج بها مرضا معينا، (سعاد، 2000)، وعليه أن هذه الأعشاب تندرج في سياق العلاج الشعبوي في منطقة دراستنا البروافية، ونسرد في ما يلي بعضا مما توصلنا إليه في هذا الصدد بنزولنا الميداني:

1.1.3. للأعشاب فوائد جمة لجسم الإنسان:

حسب ما تحصلنا عليه من خلال إجرائنا للمقابلات الميدانية، خاصة في المقابلة للسيد (س، ب) البالغ من العمر 57 سنة، أن الكوسة لها العديد من الفوائد الجسمية والمتعلقة بالجهاز الهضمي للإنسان، التي تساعده على تطهير الأمعاء وتليينها وتحسن عملية الهضم ومحاربة الإمساك المزمن، وكذلك تساعد على خفض ظغط الدم المرتفع، وتحارب الأمراض الجلدية، وتمنع حدوث اليرقان الكبدي (الصفار) وتقوية الذاكرة وتحارب مرض الزهايمر وتسكن الالام المثانة، أما الجهاز البولي فتفيد في علاج عسر التبول والمثانة واخراج الترسبات والرمل من الجسم، ومعالجة التهابات البول مع العمل على تحسين جهاز المناعة، وتحمي عضلة القلب من الأمراض وتوسع الشرايين والأوردة.

وحسب المقابلة للسيد(ج، ت) البالغ من العمر 65 سنة أن الثوم المرقد في زيت الزيتون أقوى مضاد حيوي مفيد للجسم الإنسان، وذلك حسب تم جمعه من خلال المقابلات الأخرى التي تشترك في المعلومات المتحصل عليها، والتي مفادها أن الثوم له فوائد كثيرة ويمكن ذكرها كالتالي:

1/- تصفية الدم

2/- تصفية الكبد

3/- ازالة حصى الكلى

4/- تفيد في علاج البواسير

5/- تفيد في علاج الام المفاصل وتستعمل لعلاج تساقط الشعر، ولها فوائد متنوعة في علاج عدة امراض اخرى مثل ضغط الدم والقلب .

وكذلك يستخدم الثوم من خلال تحضيره بالطرق المتنوعة من طرف الأخصائيين في الطب الشعبي في علاج آلام أسفل الظهر، والذي عادة ما يكون بسبب حدوث انفصال في بعض فقرات العمود الفقري، مما يؤدي إلى تحرك احداها وبروزها ضاغطة على الأعصاب، ما يسبب الاما في أسفل الظهر، يمتد إلى الوركين والفخذين، يطلق عليه في الثقافة الشعبية "عرق النسا".

وفي مقابلة أخرى مع السيدة (س، م) البالغة 56 سنة، صرحت أن عشبة الميرمية أو المريوية تحتوي على المركبات المضادة للأكسدة وتساعد في مقأومة التهاب الجسم، وقد اشتركت المقابلات الأخرى في أهمية هذا الأخير ويمكن عرضها في النقاط التالية:

1/- تنظيف الرحم والمبايض

2/- تقضي على الغازات

3/- تساهم في ضبط نسبة السكر في الدم وتخفض الكولسترول

4/- تساهم في الوقاية من سرطان الرئة وتخفف من التعرق الليلي

وحسب المبحوثين فهي عادة ما تشرب مع النعناع والليمون وتركها لمدة عشرون دقيقة قبل تناولها.

أما عشبة القرنفل فكانت أكثر ما تردد على مسامعنا كعشبة طبية، وهو ما يؤكد أهميتها العلاجية، نعرضها في النقاط التالية:

1/- يساعد القرنفل على علاج انتفاخ البطن والام المعدة والحيض والأرق عند النساء .

2/- يساعد على تقوية الذاكرة ويحسن أداء شرايين القلب .

3/- يعالج السعال والكحة وكل الأمراض المتعلقة بالبلغم.

4/- يعالج الالتهابات المفصلية وتحسن أدائها وعلاقاتها بالأعضاء الأخرى.

5/- تنظيف البطن والمعدة من الجراثيم والبكتيريا ويعالج مشاكل في الكبد والطحال والكليتين ويخفض نسبة السكر والضغط العالي.

أما في المقابلة مع السيدة (ح، ز) البالغة من العمر 42، فقد اتجهت الأخت إلى عشبة من الأعشاب الهامة ألا وهي "عشبة حب الرشاد" لما لها من فوائد جمة للجنسين يمكن عرضها في النقاط التالية:

1/- يحمي الجسم من السموم ويعزز فقدان الوزن أو ما يسمى التخصيص.

2/- يعزز صحة القلب.

3/- يحتوي على مادة تمنع الامتصاص الليفي للغدة الدرقية .

4/- تساعد على تنظيم الدورة الشهرية عند النساء .

5/- يحد من التليف في الكبد واستمرار تطور الفشل الكلوي واستعادة نشاط الكلى والكبد.

6/- يعتبر من أقوى الأدوية لآلام المفاصل والعظام لأنه غني بالمعادن والفيتامينات النادرة التي قد لا تتواجد في معظم الفواكه والخضروات ويعتبر من أقوى المكملات للفيتامينات والمعادن للجسم، ونذكر القارئين بأننا لما سألنا المبحوثة السؤال الآتي: (هل لهذه العشبة طريقة معينة للتنأول أم تتنأول بطريقة عشوائية؟)، أجابت بأنه من الأحسن أن تخلط هذه العشبة مع وجبات أخرى من الأكل، لكي تسهل عملية هضمها، وهو ما يدل بأن الأعشاب ليست مجرد نباتات جاهزة للتنأول كالخضار أو الفواكه، بل لها حساب معين كما يقول المثل: "إذا زاد الشيئ عن حده انقلب إلى ضده"، وهو ما لا يغفله المختصون في طب الأعشاب حينما يقدمون وصفات لمرضاهم.

2.3. الطب الشعبي الطقوسي:

وهو يتضمن طرق علاج يطلق عليها في الثقافة الشعبية "الحكمة"، التماسا للشفاء من الأمراض التي استعصى على الطب الحديث معالجتها، وغالبا ما يقوم بها ممارسين مختصين ممن تناقلوا طرقا وآليات علاجية عن آبائهم أو أجدادهم، "كما سرد بعض المبحوثين لما سألناه عن سر تجربته في التدأوي ب_ "الكي" قائلا: "حكمة الجدود"، ويجدر منا أن نذكر بأن الباحث إذا ما تتبع تاريخ الطب البدائي يجده ارتكز أولا على طقوس السحر فمعتقدات الدين، ولم يخلو عبر مراحله من استخدام الأعشاب الطبية والسوائل المعدنية وكانت الأمراض تعالج بواسطة "الشامان الكاهن"

أو "الطبيب الساحر" أو بواسطة بعض الممارسين الشعبيين الآخرين الذين لديهم القدرة على طرد الأرواح الشريرة، ومنه يرى الباحثون الأنثروبولوجيون ان الطب البدائي هو الطب السحري، وهو ما يتوافق مع جاء به "جيمس دافيز" لما قال: "إن الطب والدين ارتبطا معا، لان أصول الطب القديم ترجع إلى معلومات دينية وطب الخرافات، اللذان امتزجا معا وكونا الطب الديني الحقيقي، وهذا ما يؤكد بأن المعرفة الطبية الشعبية كانت منتشرة بدرجة كبيرة بين الحضارات القديمة، خاصة في مصر الفرعونية القديمة، ثم تتابعت مراحل تطورها خلال النهضة الاغريقية" (محمد، 2001)

ويمكن القول بأن الطب الشعبي مر بالعديد من المراحل، منها المرحلة التي اتخذ من السحر والشعوذة والطقوس العقائدية المختلفة مرجعا له، يطلق عليها مرحلة ما قبل العلمية (الطب الشعبي الاجتماعي)، خاصة في ما يعرف عند الغربيين بعصور الظلام، اعتمد في ممارسته على أساليب التداوي بالسحر والشعوذة والغيبيات، مثل: الشامان أو الطبيب الساحر والمعالجين الروحانيين وغيرهم كما سبق وذكرنا.

3.3.الطب الشعبي وعلاقته بالممارسات الروحية الطقوسية عند الأضرحة:

نسرد فيما يلي بعضا مما تم جمعه من الملاحظات والمقابلات مع المبحوثين، كالآتي:

1.3.3.إشعال البخور داخل قبة الضريح:

هذه الممارسة لها وظيفتين، أولهما وظيفة ظاهرة متمثلة في تلطيف الجو على حد قول أحد الزائرات، ووظيفة أخرى كامنة (الوظيفة الرمزية)، متمثلة في خلق جو روحاني يتخلله اختلاط مشاعر الخوف مع الرجاء، باعتبار هاته الممارسة حسب المبحوثين، تساعدهم في التعبير عن مدى الشوق الذي بينهم وبين صاحب الضريح، وهو طقس لإعلان التقارب الروحي بين الأحياء والأموات الذين لم يموتوا في وجدان محبيهم ومريديهم، وقد تجسد هذا في ملامح وجوه الزائرين، أين تمتلئ الوجنتين حين الوقوف والجلوس جنب الضريح بالدم، عبروا عنه بأنه شعور بالوقار والهيبة واستذكار للحظات كان فيها صاحب الضريح حيا يرزق مثلهم قبل أن يفضي إلى الحياة الأخرى، ورجاء وتمني بأن يكونوا يوما ما معا، في رضا الله تعالى ورضوانه، وما يدل على التفاعل بين النشاط الطقسي وحضور الزائر، ما يتردد من كلمات وعبارات مصاحبة لتجمير المكان تبدو في ظاهرها أذكار وأدعية معينة، فالمغزى من إشعال البخور داخل قبة الولي حسب ما صرح به السيد(س.م) هو: "طرد الأرواح الشريرة التي تسكن جسم الإنسان، وجانب منها يتجسد في استخدام البخور عند الضريح"، وهذا ما اتفقنا فيه مع محمود محمد الجوهري الذي يرى أن الولي قد غرس فينا وفي عقيدتنا، وهو ما يدعم الفرض القائل استمرار الظاهرة حيث أن ما يطرأ عليها من تغيرات وما تطرحه هذه الظاهرة من بدائل ما هو إلا مزيد من التدعيم للحفاظ على البقاء". (محمود، 1991) و أيضا حسبما تطرق إليه العقبي الأزهر الذي يرى أن الولي له مكانة اجتماعية socail position و التي تشير" إلى موقع الفرد على

مستوى النسق أو المجتمع الكلي، فالمكانة الاجتماعية تبنى على العديد من المراكز التي كان يشغلها أو مازال يشغلها في المجتمع، وتخضع هذه المكانة إلى القيم والمعايير الاجتماعية التي قد يحتل الفرد من خلالها مكانة عليا في سلم التدرج الاجتماعي" (الازهر، 2013)

ويستذكر أحد الباحثين قصة سردها له مبحوث آخر في السياق ذاته بان مسألة البخور تعزز المكان روحيا وتجلب الخير كون سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان "يجمر المنبر قبل خطبة الجمعة، وقد بحثنا في المسألة ووجدنا بأن المسألة تحتاج لتمحيص بالرغم من وجود روايات تؤكد أن نعيم بن عبد الله المجمر مولى عمر بن الخطاب ، كان أبوه عبد الله يجمر المسجد إذا قعد عمر رضي الله عنه على المنبر ، وتبقى مسألة صحة طرد الشياطين من عدمها في أمور الغيبيات التي نسردها باعتبارنا باحثين انثروبولوجيين جزائريين كمعتقد، ونتحفظ عليها كتجسد فعلي وممارسة.

وقد أجابنا بعض المبحوثين لما سألناهم عما إذا كانت هذه الممارسات ترتبط بمعتقداتهم الشعبية؟

قائلين لنا: "نعم ترتبط بالعديد من المعتقدات الشعبية، فمنهم من قال بانها تساعد في علاج الجسم من الأعراض النفسية والروحية ، ومنهم من أجاب بأنها تقلل من الإصابة ببعض الأمراض مثل الحمى ، ومنهم من قال بأنها تدفع البلاء والهم والمشاكل وغيرها، ويقوم الزائرين بتجميع البخور وتخزينه في قبة الولي، لأن حسب معتقدهم الشعبي أن بركة الولي تنتقل إليهم، و حسب الزائرين أن البخور هو رمز للتطهير ووسيلة للوقاية وعلاج المصابين بمختلف الأمراض العصبية

وقد قمنا بطرح سؤال آخر مباشرة على أحد الزائرين من أجل معرفة أهم الخلطات الموجودة في أحد السوائل التي جلبها معه؟

فأجابنا بأنهم طالما قاموا باستخدام الملح ورشه على جسم المريض، لأن الملح يتجاوز كونه مجرد مادة تستعمل للطهي إلى كونه مادة أساسية في العديد من العمليات العلاجية، لذلك يستخدمه زائرو ضريح الولي في ممارساتهم الطقسية.

وعليه يمكن القول أنه حسب المعتقد الشعبي لمن تحاورنا معهم، إن الملح يساعد على طرد القوى الخفية التي تؤثر على جسم الإنسان، خاصة عند النساء حديثي الولادة، اللواتي يستعملن الأخير، كحماية لأطفالهن الصغار، قصد تحصينهم من أخطار العين، باعتبارهم في سن صغيرة لا تتحمل سوى المواد الطبيعية الخالية من الكيمياويات، والملح أفضلها حسبهم.

2.3.3. التدليك بالكرتين الحديديتين الموجودتين بجوار ضريح الولي:

أثناء دراستنا الميدانية التقينا بمجموعة من الزائرين وقمنا بطرح مجموعة من الأسئلة حول أهم الطرق والممارسات لهذه الوسيلتين.

وحسب ما قالوا لنا: فإن الممارسة العلاجية تكون عن طريق استلقاء الزائرة على ظهرها، ووضع الكرة فوق جسمها، ثم تقوم احد العجائز التي ينحدر نسبها وانتمائها للولي، بتدليك المريضة مع استخدام التراب الموجود بجانب القبر أو خارج القبة ومزجه مع الحناء المرشوشة (المبللة)، اعتقادا بأن النساء اللواتي ينحدرن من نسب الولي تنتقل لهن بركة الولي لأنهن حفيداته، وإضافة بعض العقاقير التي رفضوا تسميتها لنا باعتبارها سر العائلة (الحكمة)، وطلائها على جسم المرأة، ومباشرة بعد الانتهاء من هذه العملية تلف بغطاء الشليل،(وهوعبارة عن قطعة قماش متوسطة الأحجام توجد داخل القبة بمختلف الألوان) ثم تجلس المريضة لمدة ساعة قبل أن تذهب إلى بيتها.

3.3.3. التدواي بالرقية الشرعية "الشيخ القائم على خدمة ضريح الولي" (المقدم):

قدمنا سؤالا للشيخ المقدم: هل أنت دائم الحضور هنا؟

قال لنا: (نعم كل يوم جمعة نكون في المدرسة القرآنية بجوار الضريح)، وحسب ملاحظاتنا أن كل الزائرين الذين يعانون من مشاكل اجتماعية أو نفسية وحتى طبية يذهبون إليه وهو من أحفاد الولي سيدي ناجي من أجل رقيتهم، فمن خلال معايشتنا لبعض الحالات، اتضح لنا بأن الشيخ يؤدي دورا يتشابه مع دور المعالج النفسي من خلال الاستماع إلى مشاكلهم، والقيام بتحليل أهم المواقف التي يتعرض لها الأفراد وعلاقتها بحالتهم الصحية عن طريق جلسة الاستماع والتشخيص، فإذا كان الزائر رجل يجلس مع الشيخ وحدهما في قاعة الضيافة، وإذا كان الزائر امرأة فيشترط الشيخ احد محارمها من أفراد عائلتها أو زوجها أو أولادها حسب الحالة المدنية للزائرة، لأن الشيخ يرفض رفضاً قاطعاً بأن يستقبل الزائرات بمفردهن.

4.3.3. النوم داخل قبة ضريح:

تتكرر هذه الممارسة عند العديد من الزائرين للأضرحة التماسا للعلاج ، وهو ما أكدته لنا السيدة(ج، ت) بعد ما طرحنا عليها سؤالا مفاده: هل الطقوس العلاجية خاصة بمرض ما؟

فأجابت: (إن الزوار الذين يعانون من الأمراض النفسية الناتجة عن المس الجني)، وهذا ما لاحظناه في ميدان دراستنا لبعض الزائرين الذين يجلبون معهم مختلف المأكولات والمشروبات ويقسمونها على الحاضرين ويتناولونها بشكل معروف من أجل شفاء المرض، وكلها ممارسات تتوافق مع خصوصية كل ثقافة وهذا ما أكده الباحث محمد أركون في فكرته التي تطرق إليها كيحل مصطفى بأنه يرى أن المقدس له علاقة بالمجتمعات والثقافات القديمة من جهة أخرى، وأيضا له علاقة بالمجتمعات الحديثة من جهة ثانية، وهذا ما وجدناه في دراستنا حيث أكدت لنا إحدى أعيان المنطقة أن الممارسات داخل الضريح بدأت تتغير عما كانت عليه بالماضي مثل تحضير المأكولات داخل القبة التي اندثرت مع الزمن وتغير المجتمع، وهذا يبين لنا سوسيولوجياً و أنثروبولوجياً التقديس وعلاقته بالتكوين الاجتماعي والثقافي لهذه الظاهرة (مصطفى، 2011)

خاتمة:

لا يكاد يخلو مجتمعا من المجتمعات البشرية من الممارسات العلاجية أو ما يعرف بالطب الشعبي وما يتخلله من مصطلحات كالمعالجين الشعبين، الذين يمتلكون مهارات وحكما استشفائية، كلها تجارب اكسبتهم أسرارا استطاعوا من خلالها الحفاظ على هذه الممارسات، وترسخت كموروث ثقافي في التصور الجمعي للأفراد، وإن من بين ما تنقله لنا الثقافة أو الموروث الثقافي مهما تعددت واختلفت أشكالها، إشباع حاجيات أنساقها النفسية والروحية، وتحاول الأسرة كبناء ولبنة اجتماعية جاهدة أن تنقل هذا الموروث الثقافي دون تعديل أو المساس بقيمته وبقداسته إلى أبنائها من خلال التنشئة الاجتماعية التي تمثل جوهر عملية نقل الفرد للموروث الطبي والثقافي، وهذا يبن لنا أن العلاقة بين الثقافة والتنشئة الاجتماعية علاقة مترابطة ومتداخلة تتميز بالديناميكية والحيوية في مختلف المجالات، ولا يمكننا للأمانة إغفال أهم سلبيات وايجابيات الطب الشعبي تواليا في النقاط التالية:

عدم وجود أخصائيين علميين في الطب الشعبي يمتلكون الطرق والكيفيات التي تساعدهم في رفع مستوى الخدمات الصحية، وهو ما لا يساهم بالقدر الكافي في الإشباع النفسي لدى المريض وكسب ثقته الكاملة، ما يدعو إلى ضرورة وضع قاعدة علمية مقننة تحمي المختصين في الطب الشعبيين والمرضى المهتمون بهذا النوع من الطب.

أما عن الإيجابيات، فهو يساعد في الوقوف على الأسباب الرئيسية للألم في الجسم ومن ثم البدء في علاجه، حيث يعمل على استعادة التوازن بين الجسم والعقل، ويمكن للعقل في هذه اللحظة أن يتحكم في الألم، ويصبح المريض مسؤولا عن صحته عن طريق البعد عن مسببات الألم، خاصة وأن معظم الأدوية والعلاجات غالية جدا، والعلاجات البديلة طبيعية سعرها أدنى، قد يجدها المريض دون تكلفة وعناء كبيرين، كما أن اليوجا والحجامة والوخز بالإبر الصينية أسعارها مناسبة وغير مكلفة مثل جلسات العلاج الطبيعي في المراكز الطبية، ويستخدم الطب البديل كعلاج مكمل أو وقائي من الأمراض المزمنة كالسكري والضغط أو حتى السرطان.

كل هذه الممارسات والطقوس العلاجية بقيت راسخة في الذاكرة الشعبية، تترجم عن علاقة الطقوس العلاجية بالموروث الثقافي الطبي في المجتمع الجزائري عامة والمجتمع البرواقي خاصة، وهذا يدل على المنزلة الاجتماعية التي يحظى بها الطب الشعبي في نفوس البرواقيين، جعلته إرثا معنويا وماديا وجزءا من الثقافة الشعبية الجزائرية، التي كانت ولا زالت تقدم الحلول من الطبيعة ممتزجة بالخبرة البشرية، وخاضعة للتغيرات الاجتماعية المعاصرة بكل تأكيد.

قائمة المصادر والمراجع:

إبراهيم مصطفى وآخرون. (1989). *المعجم الوسيط*. القاهرة مصر: دار الدعوة.

اسامة باحمد. (2020). قراءة سوسيولوجية للموروث الثقافي بين ثنائية التغيير الاجتماعي والتغير الثقافي ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية . *مجلة التنمية وادارة الموارد البشرية، جامعة البليدة02، الجزائر* .

الجوهري محمد محمود. (1991). *طرق البحث الاجتماعي*. مصر: دار المعرفة الجامعية.

السواح فراس. (1998). *دين الإنسان بحث في ماهية الدين والنشأة الدوافع الدينية* . سوريا: منشورات دار العلاء الدين.

العقبي الازهر. (2013). المراكز والأدوار الاجتماعية ومحدداتها الثقافية في النظام العربي . *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزئر*

المشهداني عبد الفتاح محمد. (2001). الطب الشعبي والطب العلمي، دراسة وصفية تحليلية. *مجلة الدراسات الموصلية* ،

توفيق الفهد. (2007). *الكهانة العربية قبل الإسلام*. بيروت لبنان: شركة قدمس للنشر والتوزيع.

خليفة محمد الدليمي عبد الرزاق. (2006). المعتقدات الشعبية في الموروث الشعري العربي القديم. *مجلة بحوث ودراسات، كلية الآداب، جامعة بغدادالعراق* .

عبد الخليل سيد أحمد. (2013). *دراسات في المعتقد الشعبي*. القاهرة، مصر: الهيئة العامة للقصور الثقافة للنشر.

عثمان سعاد. (2000). *الطب الشعبي*. القاهرة، مصر: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.

كيحل مصطفى. (2011). *الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون*. الرباط المغرب: دار الأمان للنشر.